# Rev. Mounir Hakmeh

**www.kobayat.org**
Electronic Version
Published online by: Elie Abboud
Email: elie@kobayat.org

الأب منير حاكمه

# من أجل ولدي

## الجزء الثالث

٢٠٠٦

**جميع الحقوق محفوظة للمؤلِّف**

هاتف: ٣٥١٣٤٣ (٠٦)

## الكاتب يقدّم نفسه

لا بدّ من كلمة أعرّف بها عن نفسي، لا للمديح أو الدعاية، إنما للتحبّب والتواصل. وهذه العلاقة إذا ما نشأت فيما بيننا، سوف تساعد، وتشجّع على مطالعة هذه القصص والاستمتاع بها.

في العودة إلى أيّام الصبا، أقول إنني كنتُ غير ما أنا عليه اليوم كلياً.

لقد نشأتُ على حبّ الطبيعة في بلدةٍ خصّها اللّه بجمال الموقع، وسحر المنظر هي القبيّات في قضاء عكّار. وعشتُ الكشفيّة ومخيّماتها، وكسبتُ مهاراتها الخاصّة: "ألكشّاف يهزأ بالصّعاب، ولا يعبأ بها".

كما أنني زاولتُ أعمال الزراعة وأتقنتُها، وما أزال حتى اليوم، أروّح نفسي بالعمل فيها.

أنتقل من القلم إلى المعول، ومن المعول إلى القلم. إنهما عندي قلمان: واحد يشحذ الفكر ويخطّ قصصاً، وآخر يُروّضُ الجسم، ويخطّ أثلاماً.

ومارستُ مهنة (رسالة) التعليم، وكنتُ أرغب في تدريس مادّتي الحساب والعلوم لكن حاجة المدرسة دعتني إلى تعليم اللغة العربيّة في الصفوف الابتدائيّة، فتمرّستُ في مبادئها.

لكنّني لم أتصوّر أنه في يوم من الأيّام سأكون كاهناً، أخدم النّفوس لمجد اللّه.

ولم يكن يخطر ببالي، أنني سأتابع الدراسة من جديد (دراسة اللاهوت)، بعد سبع وأربعين من السنين.

كما أنني لم أكن أتوقّع في لحظة من اللّحظات، أنني سأدخل مجال الكتابة بأسلوبها القصصي، وخاصّة هذا النّوع الهادف منها.

وها الآن بعد صدور الجزء الأول والثاني من هذه السلسلة، أقدّم لكم أحبائي بإذن اللّه، الجزء الثّالث، حاملاً العنوان ذاته "من أجل ولدي".

لماذا هذا الاسم؟ لماذا (من أجل ولدي)؟

**لقد سمحتُ لنفسي، محبّيَّ، أن أدعوكم بهذا الاسم، معتبراً إياكم أولادي بالرّوح.**

القبيّات ٢٠٠٦/٥/٥

**الأب منير حاكمه**

# المحتــوى


إياك والسطل ..... ١٥
بالتصنيف ألا يشبهونه ..... ٢١
إفتخرْ، أنت كلب! ..... ٢٧
النار ..... ٣٥
الاستهتار ..... ٤١
اقرنوا الأقوال بالأفعال والإيمان بالأعمال ..... ٤٧
لا وقت للضياع ..... ٥٣
قادرة على أن تغيّر وجه الأرض ..... ٥٩
حوّل آلامك إلى فرح وقداسة ..... ٦٥
في ظنّه أنه يغشّ الآخرين ..... ٧١
وحدهم المتيقّظون ..... ٧٩
لا بدّ من الاختبار ..... ٨٧
رحلة الأحلام ..... ٩٥
موكب النظافة ..... ١٠١
إن لم تمارِسْ ..... ١٠٧

# تـوطـئـــة

لا المجد ولا الشهرة هدفه، ولا المال أو الثراء غايته، لكن أمنيته الوحيدة هي إرساء علاقات سليمة في مجتمعه وبين قرّائه.

علاقات مبنيّة على المحبّة والإخاء، على الرحمة والعطاء، وعلى الصدق والنقاء، فيهنأ الجميع ويعيشوا بسلام.

إنّ الأب منير في كتابه "من أجل ولدي" يستخدم مواهبه ليحثّ القارئ ويشجّعه، كي يستلهم ضميره ويعمل بهديه، وحسبما وهبه اللّه من قدرة على التمييز بين الخير والشرّ.

وبالنسبة إلى النّصوص، فقد عولجت بأساليب القصّة والمثل، فلا وعظيّة مباشرة، ولا تعاليم جامدة.

وهذه النّصوص تتّصف بالخصوصيّة، والمألوفيّة، وقوامها عاطفة إنسانيّة صادقة ونقيّة لدرجة أنها بالإمكان أن تُعْتَبَر حاجة اجتماعيّة لواقعنا الحاضر.

أمّا الأسلوب فهو أدبيّ طريف، يتميّز بعنصر العقل المتجلّي في اختيار

الفكرة العميقة التي تطال الإنسان، من خلال محاكاة الأشياء والحيوان، وأيضاً من خلال حوارات رشيقة لا ملل فيها.

كما يمكننا القول: إنّ الأسلوب منطقيّ وتحليليّ، يدعمه الكاتب بالصّور والخيال، صور تضفي على النصّ رونقاً وجمالاً، لتسهم في تأدية المعنى المقصود، وتحقيق الهدف المنشود.

أبتِ الفاضل، في اعتقادي أن الطبيعة ما باحت إليك بأسرارها، إلا لتحملك على السّعي للنهوض بالمجتمع نحو الأفضل، ولتظهر في الوقت ذاته، قدرة الإنسان العاقل والمؤمن على تحقيق السعادة لنفسه وإبعاد الشقاء عنها.

٢٠٠٦/٦/٦

**الأستاذ أنطوان نكد**

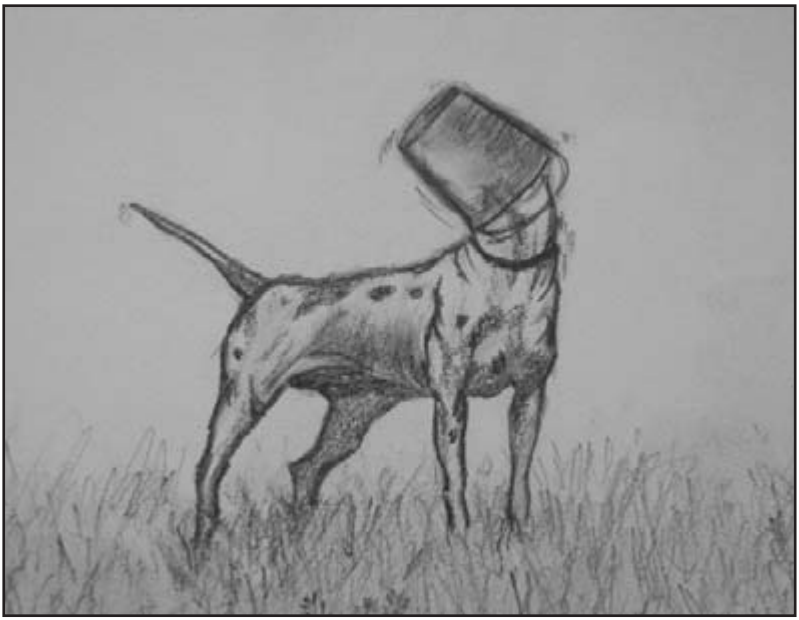

إيّاك والسطل

# إيّـــاك والســطـل

قلتُ لوالدي ذات يوم: ما رأيكَ في نزهة قريبة قصدَ الاستجمام وتغيير الأجواء؟

وافق مبتسماً. وما هي إلاّ دقائق حتى ناداني فصعدتُ معه السيّارة، وسلكنا إحدى الطرق الجبليّة.

وفيما كنّا نسيرُ بهدوء، لَفَتَ نظري حيوان لم أشاهد مثله من قبل. إنّه منظر يسترعي الانتباه، ويستدعي الوقوف والتفرّج، فصرختُ:

- أبي، تمهّل! ما هذا الحيوان العجيب؟

- حقاً يا ولدي، الجسمُ جسمُ كلب، والرأس أمره غريب!

- تأكّد معي، أليس سطلاً ما عَلِقَ في رأس الكلب؟

- صحيح إنه كلب صيد؛ أنظر إليه كيف يركض عشوائياً، فيتعثّر حيناً، ويقع حيناً آخر، إنه يتخبّط، إنه في ورطة.

- أمرٌ مضحكٌ ومبكٍ معاً. لقد ذكّرني هذا الكلب، يوم كنا نلعب لعبة الأعمى، ونربط العصائبَ على عيوننا ونلاحقُ بعضنا.

أنظر يا أبي، إنه يقترب من الحائط وهو لا يراه. ها هو يصطدم به. وصوت السطل يزيدهُ ركضاً وجنوناً. إنه مسكين. ربّما كان يُفتّش عن طعامٍ في هذا السطل الضيِّق؟! ولما أدخل رأسه علقَ فيه، ولم يعد باستطاعته التخلّص منه. ولكن من سينزع له السطل؟

- أرى أنه لن يخرج بسهولة!

- وهل نستطيع الإمساك به ومساعدته؟

- أمر غير أكيد، لنحاولْ.

- أتسمح لي أن أجرّب؟

- إعمل ما تريد.

- نزلتُ من السيّارة وأخذت أُناديه بصوتٍ لطيف، وإذا به يدور دورة صغيرة، محدّداً مصدر الصوت قبل أن يقترب مني، فزدتُ في ملاطفته. ولما لامسني، أمسكتُ به، وبسرعة نزعتُ السطل عن رأسه، فرجع إلى الوراء قليلاً ونظر إليّ، ثم نفض رأسه، وهزّ ذنبه، كما لو أنه يقدّم لي شكره وامتنانه.

- ضحك والدي وقال لي: إنكَ أسديتَ إلى هذا الحيوان الضعيف خدمة كبيرة. فقد دفعتكَ مروءتكَ وحبّ الخير للقيام بهذا العمل.

– شكراً لكَ يا والدي الحبيب على ثقتك بي.

– يجب أن نُكمل طريقنا.

ولما سارت السيّارة، تبعها الكلب لمسافةٍ طويلة. كنت ألوّحُ له بيدي، وهو يركضُ وراءنا، وكأنه يردّ لنا الجميل. وبقي على هذه الحال إلى أن وصلنا إلى حدود القرية. لقد رافقنا إلى حدوده الإقليميّة.

وما إن غاب عن نظرنا حتّى سألني أبي قائلاً:

– ما هو، يا بنيّ، تعليقكَ على ما جرى؟

– إنه اختبار صعب وحزين.

– صحيح، فبعد دخول السطل في رأس الكلب، انقلبتْ تصرّفاته وتبدّلت حركاته، لأنّ السطل أعماه وأفقده البصر.

– ألم تكن حياته معرّضة للخطر؟

– بالطّبع، فلو صدف أنّه مرَّ قرب حفرةٍ، كان لا بُدَّ له من السّقوط فيها.

– لقد ساعده الحظّ ونجا.

– ولكن ماذا لو حدثَ الأمر ذاته مع الإنسان؟

– حتى الآن لم أشاهد إنساناً بهذا المشهد يا والدي.

– صحيح إنكَ لن تشاهد سطلاً حديديّاً، أو بلاستيكيّاً عالقاً في

رؤوس بعضهم، إنّما يمكنكَ يا ولدي أن تَتَعرَّف إليهم من خلال تصرّفاتهم وأعمالهم.

وكما أدخلتْ شهوة الطعام رأسَ الكلبِ في السّطل فأعمته، كذلك بإمكان شهوات هذه الدّنيا أن تُدخل رؤوس أصحابها في سطولٍ من الحقد أو الطمع، أو الكبرياء أوالحسد، أو الدعارة أو الفساد، فتعميهم وتغيّر حياتهم، لهذا نجدُهم يتخبّطون كما تخبّط صاحبنا من قبل.

وقد يتنوّع العمى وتتلوّن السطول لكنّ المصير واحد.

- شكراً لكَ يا أبي على هذا التوضيح، وأعدك أن أحافظ على نفسي، مُتجنِّباً هذه الأمور، موفّراً عليّ عماها ومضارّها.

بالتّصنيف ألا يشبهونه

# بالتّصنيف ألا يشبهونه

ذات يوم، دخل أحد التّيوس بيتَ صاحبه، وبدأ يتجوّل فيه. فلاحظَ أنّ في هذه الغرفة حَصيراً وبعض الكراسي، وفي الغرفة الثانية طاولة وعليها طناجر وصحون، وبقربها غرفة فيها سرير قديم وخزانة عتيقة، تتوسّطها مرآة كبيرة استرعت انتباه التيس فوقف أمامها يتفرّج.

وأول ردّة فعل كانت له أن هزّ رأسه أمام المرآة غاضباً وقال: إنّ معلِّمي يُخفي عنده تيساً يُشبهني، وسيجعله مكاني في قيادة القطيع! أما أنا فسوف يبيعني للذبح.

لا، لا لن أتركه يفعل بي ذلك، ولا يمكن أن أترك الرئاسة لغيري. أنا الأحقُّ بها. ثم عاد إلى هزِّ رأسه متوعِّداً ومهدِّداً.

في هذه الأثناء، كان التيس المقابل يردِّد الحركات ذاتها، ويهزُّ رأسه مثله.

تساءَل الأوّل قال: تيسٌ غبيٌّ يتحدّاني ويقلّدني؟! عندها انتصب ورفع رأسه متشامخاً، واذا بالحيوان الآخر يرفع رأسه أيضاً. رجع إلى

الوراء، ففعل الثاني مثله. رفع قائمتيه الأماميّتين فرأى الخصم يفعل كذلك – هذه الحركات تفعلها التيوس قبل القتال – وأراد أن يتحقّق من الأمر، إذْ يتوقّف عليه مصيره ومستقبله، فعاود الرّجوع إلى الوراء ورَفَعَ قائمتيه من جديد، فكان المشهد يتكرّر، تيسٌ يقابله بالحركات ذاتها، وعرَفَ أنهُ لا بدّ من القتال، فأراد أن يأخذ المبادرة ويسبقه إلى الهجوم، فقد يتغلّب عليه. وبرأس عنيد تقدّم مسرعاً موجّهاً إليه ضربةً قويّة أرادها الحاسمة.

واذا بالخزانة تتحطّم، وزجاج المرآة يتناثر، وقصّة التيس البديل تتبدّد، ولم يبقَ له إلا السؤال: ما الذي حدث يا تُرى؟

سمع الراعي صوتاً قويّاً تبعه صوت تحطّم زجاج، فأسرع بالدخول ليرى ما الأمر. أطلّ فرأى مشهداً غريباً. لم يفهم دوافعه لأوّل وهلة. أمامه خزانة محطّمة وتيس ينزف دماً، وغرفة يغطّيها الزجاج. فتساءَل قائلاً: ما الذي فعله هذا الحيوان بنفسه؟ كم هو عنيد؟ كم هو جاهل؟ إنه تيس شقيّ سوف يتألّم كثيراً. وبعد تفكير طويل وتحليل هادئ، قرّر أن يَعْذر تيسه وحجّته: إن كان العديدُ من الناسِ يفعلون بنفوسهم هكذا فلا لومَ بعد الآن على هذا الحيوان.

وأخذ الراعي يستعرض الناس الذين حطّموا حياتهم وحياة عيالهم بسبب جهلهم وحماقاتهم. واستعرض أيضاً حياة من أضاعوا مستقبلهم

ومستقبل أحبّ الناس إلى قلوبهم، من جرّاء ميولهم المنحرفة وقراراتهم الهدّامة، أو من جراء خلافاتهم التي شرذمتهم وأضعفتهم.

كما استعرض الذين حطّموا الآخرين بكبريائهم وظُلمهم، أو بطَمَعهم وحَسَدهم واستهتارهم.

ووصل الخَيالُ بالرّاعي ليستعرض الذين حطّموا صحّتهم بالتدخين وإدمان الكحول، والذين أضاعوا بالقمار ثرواتهم، فصاروا أشقى الناس وأتعسهم.

وتساءل أخيراً فقال: هؤلاء بالتصنيف ألا يشبهون بطل قصّتنا؟

لكنّه استثنى الذين ندموا على ما فعلوا فتابوا وقرّروا الرّجوع عن أخطائِهم وإصلاح ما أمكن منها. إنهم حقاً يستحقّون تشجيعنا ورعايتنا، بعد أن حالفهم الحظّ واهتدوا إلى سواء السبيل.

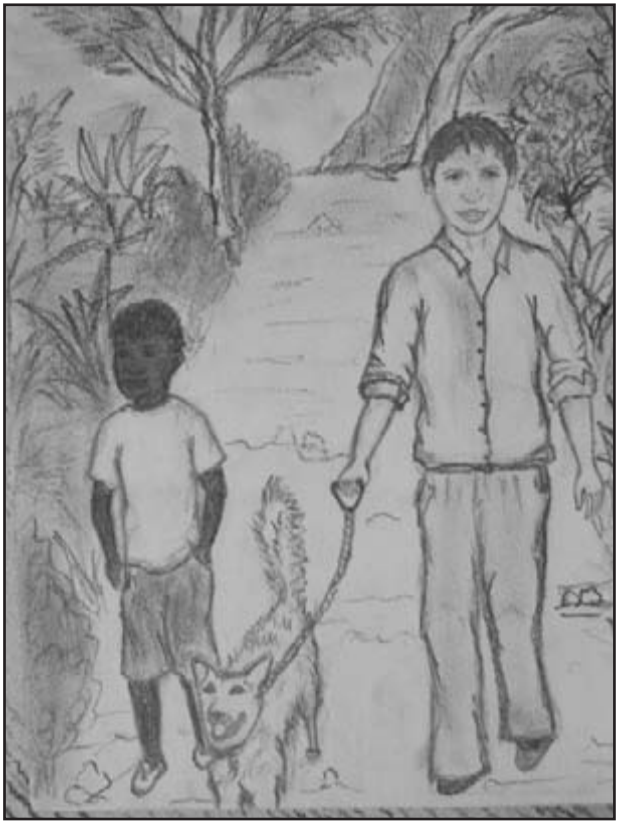

إفتخرْ، أنت كلب

# إفتخرْ، أنت كلب

كان أحد السيّاح الأجانب يتجوّل في بلدان إفريقيا. وكانت المناظر الطبيعيّة الجميلة تستوقفه. نزل ذات مرّة من السيّارة ومعه كلبه ليلتقط بعض الصور. في هذه الأثناء مرَّ صبيّ قرب السائح، وأُعجب بمنظر الكلب فأخذ يتأمّله.

- بادره الكلب بقوله: أهلاً بك أيها الزنجيّ الأسود.

- ردَّ عليه قائلاً: مَنْ أنت حتى تستقبلني؟ ألستَ من صنف الحيوان؟ وهل أسلّم على كلب؟

- أرجوك لا تكرّر هذا الكلام ثانيةً، فأنا كلبٌ محترم في محيطي، أعيش مكرّماً، ومدلّلاً. لي حقوقي وامتيازاتي، والجميع في خدمتي.

- الجميع في خدمتك!؟ إنكَ تعمل من نفسكَ رئيس قبيلة؟

- صدّق ما أقوله لكَ أيّها الولد الطيّب القلب. لأنّ كلامي حقيقة وواقع.

- أية حقيقة وأيّ واقع؟ عندنا كلاب ونعرف كيف يعيشون.

- إهدأ قليلاً! فلأنكَ من العالم الثالث (المتخلّف)، تظنُّ أن الكلاب يجب أن تكون جلداً على عظم، مُهمَلَةً ومنبوذة كما في تصوّرك. لكنّ الأمر يختلف تماماً في البلدان المتطوّرة. فمع كوني كلباً، فإنّ لي الجمعيّات التي تدافع عن حقوقي، ولي الأطبّاء والمستشفيات وغُرف العمليّات، ولي سيّارات الإسعاف والممرّضين مع الأدوية والأمصال. ولي المدارس والمدرّبون، ولي المطاعم والطبّاخون وصالونات الحلاقة والحلاّقون، ولي المخازن والدّكاكين وأصناف المعلّبات والمشتريات، وكلّها بأسعار تفوق أسعار حاجات البشر.

- إسمعْ إسمعْ... أراكَ تتحدّث وكأنكَ ابن مليونير.

- إني أعذركَ لأنكَ لا تستطيع تصوّر ما أنا عليه.

- أنتَ من أنتَ جتى تملك كلّ هذه الامتيازات؟

- دعني أعدّد لك امتيازاتي: فإن لي أنواع الصابون والمنظِّفات، ولي الصحون وأنواع المأكولات، وأوقات للاستحمام والنزهات، ولي بطاقات السفر والرحلات، على متن السيارات والطائرات، ولي مواعيد مع الأطبّاء ولي اللقاحات، والأوراق التي تُثبت حسبي ونسبي في شهادات، ولي ...

- كفى كفى... أرى أنكَ رجل أعمال مهمّ، وصاحب مركز مرموق!

- أنتَ حرٌّ في أن تصدّق أو لا تصدّق. واعلم أن البعضَ يَقْبرون كلابهم

في قبور من رُخام، أو يصنعون لها التماثيل تخليداً لذكرها. وإنه أسهل على السائق أن يصدم إنساناً في الشارع من أن يدهس كلباً. إنّهم يَشْتُمونَ السائق ويوبّخونه على قلّة إدراكه لأنه برأيهم تعدّى على حيوان ضعيف.

- إن كان صحيحاً ما تقول، فهنيئاً لكَ. إني أدعوك كي تفتخر. فافتخرْ لأنكَ كلب، تعيش الرفاهيّة والاطمئنان. إني أحسدكَ على ما أنت عليه، وبصراحة إني أتمنّى لو أكون كلباً في بلادكم، على أن أكون إنساناً جائعاً مُعدماً في غير بلاد.

- لقد نسيتُ أن أكلّمك عن العطور والمستحضرات، عن الأزياء والمعارض، عن الحفلات والجوائز، عن السباقات والمراهنات. إنهم يُنفقون علينا وبلا حساب، وأعدادنا في ازدياد، وقطاعنا على ازدهار.

- ماذا لو تقاسمنا هذه المبالغ معكم أيها الكلاب؟ فإنها كافية لإنقاذ وإطعام الكثيرين من المرضى والبائسين.

- الأمر يعود لأصحابنا، فإن نحن رضينا، ربّما هم لا يرضون، لأنهم يعيشون في مجتمعات مرفّهة. لقد كانت تربية الكلاب عندهم فيما مضى نزوة (عادة) عابرة، أما اليوم فقد شملت الجميع لا لعملٍ مهمٍّ نعمله لهم، بل إرضاء لشهواتهم ولانحراف في تربيتهم.

- راح الزنجيّ يردّد في نفسه قائلاً: غريب أمر هؤلاء؟! إنّهم يدلّلون

الكلاب ويرفّهونها متناسين إخوة لهم بائسين وجائعين. ثم نظر إلى الكلب وقال:دعني أستعرض لكَ وضعي ووضع الكثيرين من أمثالي: نحن لا نَضْمن لقمة عيشنا، لأننا لا نعلم متى نأكل أو متى نجوع. إننا في أماكن كثيرة لا نستقرّ على أرض معيّنة بسببِ الحروب والتّهجير، والجوع والتعتير، ولا نستبدل ثيابنا لأننا لا نملك غيرها. وإن أُصيب أحدنا بالمرض يصبح عُرضةً للأقدار. لا مَنْ يسأل إذا انخفضت حرارته، أو إذا ارتفعت. ولا تَصِلُهُ حبَّة الدواء إلا وقد شارفَ على الموت، ولا يُعطى حبّة الأَرُزّ، إلا وقد بَرَزَت عظامه.

- لقد أحزنتني أيها الإنسان البائس! هل أنت أكيد من واقعكَ هذا؟

- سيزداد حُزنك وتعجّبك إن تعرّفتَ جيداً على ما نحن عليه، لأن حقوقنا ماتت مع موتِ ضمير المسؤولين. نحن هنا نخاف القَحْط، نخاف الجوع، تُلاحقنا الأمراض، تفاجئنا الأوبئة، حياتنا مهدّدة، أرواحنا تُزْهَق، تَحْصُدنا الحروب بالعشرات، نُدْفَن بلا كرامة، خوفاً من الروائح والميكروبات، تحملنا الجرّافات بأسنانها القاسية إلى الحُفَر، وما من يدٍ تمتدّ إليك أو عينٍ تَدمع عليك.

إني أتساءل: ألسنا صورة اللّه مثلهم؟ ألسنا إخوتهم في الإنسانيّة؟ وعن أيّ حقوق للإنسان يتكلّمون؟

الويل لنا من عالم غيّب اللّه عن حياته وقوانينه، فغابت معه أعمال الرحمة والمحبة.

– لقد أدمعتَ عينيّ أيها الزنجيّ، فما العمل؟

– ليس بإمكانك أن تعمل شيئاً في عالم يتلهّى بالكلاب، مُتناسياً بني جنسه. هذا العالم الذي لا يلزمه إلا القليل منها في مجال الحراسة والخدمات.

وأخيراً إني أتقدّم بالشّكر والامتنان من جميع الهيئات والجمعيّات الإنسانيّة، ومن كلّ الخيّرين الذين يفكّرون بالمحرومين والبائسين

– ولا بُدّ لي من تقديم الشكر لكَ أيها الكلب الوفي، لأنك تضامنتَ معي، الوداع!

عندها تقدّم الكلب ولحس رِجلَ الصبيّ ثم غاب.

النّـــار

# النّـــار

- ألا تريد سماع قصّة اليوم يا حبيبي؟

- بكلّ سرور، لأنّ قصصكَ محبّبة لديّ يا أبي، ولكن عمّن ستتكلّم؟

- كلامنا هذه الليلة سيكون عن **النّار**. لأني أريدك أن تتشبّه وأن لا تتشبّه بالنار.

- إنه شيء محيّر حقاً! أتشبّه بالنّار أشتعل، وأحترق ثم أنطفئ وأُصبح رماداً؟!

- ألم أقل لكَ، عليك أن تسمع حتى الآخر، وألاّ تقاطعني. لماذا لا توفّر على نفسك كثرة التساؤلات؟

- أعذرني، فقد استعجلتُ الأمور.

- إذاً عليكَ أن تتشبّه بالنار وهي ضعيفة، خفيفة، مُكتفية ببضعِ حطباتٍ وبعض الوقود، وعليكَ أن تبعث مثلها الدفء والاطمئنان في النفوس، وأن تحمي مَنْ هم حولكَ من غَدَراتِ الزّمان، كما تحميهم هي من لسعاتِ البردِ والصّقيع.

- نعم، إنه مَطْلَبٌ معقول.

- كم أودّ يا بُنيّ لو تتشبّه بالنار التي تُنضِجُ الأطعمة، وتُطيّبُ مذاقها ونكهتها! هكذا أنت أيضاً بنُضجِكَ طيّب حديثكَ وعملكَ وتصرّفاتكَ، فتكون ناجحاً في طُرُقِكَ، وشهيّاً ومقبولاً في مُحيطكَ.

- أيضاً هذا ما أريده.

- وكما أن النّار تنقلُ حرارتَها إلى الماء، فتُسهِّل على الناس عملية الغسيل والتنظيف، هكذا أنت، اغسل عيوبكَ بنار الأدب، وساهم في غسلِ عيوبِ الآخرين، وكما تنقلُ شُعلتها إلى غيرها، انقل أنتَ مشعل الحبّ والنور إلى من هم حولكَ. وتعلَّم منها أن تَقِفَ عند حدودكَ، كما تقف هي عند حدود الغابة.

- إنه تشبيه جميل! وماذا بعد؟

- لكني لا أريدكَ ولن أفضّلكَ ناراً مستعرةً (قويّة الاشتعال) مجنونة تأكل الأخضر واليابس، تأكل مال الفقير والبائس. ناراً لا تعرف الشّبع، تشتدّ وتقوى على حساب الغير. ولا أريدك ناراً تنشر الرُعب والدّمار، ناراً أعماها الغرور والاقتدار، لا ترأف بعجوز أو مسكين، ولا بمُتْعَبٍ أو حزين. وبالأخصّ، إني أطلب من اللّه وأُصلّي ألا تشتعل فيك نيرانٌ أخرى غير التي أتينا على ذكرها.

- ماذا تقصدُ بكلامكَ؟ وعن أيّ نار تتكلّم؟

- نعم، فهناك نيران أشدّ فتكاً في الناس، وأخطر من نار الحطب التي نستطيع أن نسيطر عليها ونتجنّبها. ولهذا أكرّر ابتهالي، ألاّ تشتعل فيكَ نار الغيرة، لئلا تَقلب حياتكَ جحيماً؛ ولا نار الحسد، فلا يرتاح لكَ بال؛ ولا نار الحقدِ والغضبِ أو الطمعِ، لئلاّ تخسر حتى المقرّبين منكَ؛ ولا أن تهبّ فيكَ نار الشّهوة الدَّنِسة، فتجعلكَ حيواناً، وقلّما صَمَدَ إنسان في وجهها.

- شكراً لكَ يا والدي الحنون.

- قبل أن تشكر يا ولدي، تذكّرتُ أن هناك ناراً لا تنطفئ، جَنَّبَكَ اللّه إيّاها. لقد اسْتُبْقِيَت (حُفِظَت) للذين جَحَدوا إيمانهم، وتبعوا شهواتهم وملذّاتهم في هذه الحياة، غير مهتمّين بمصيرهم فيما بعد.

- أمرٌ محيّر! نار لا تنطفئ؟ كيف هذا؟ وأيّ نار يمكنها أن تكون؟

- إنّها نار العذاب. إنها نار جهنّم التي تدوم إلى الأبد.

- وهل يَصِلُها الكثيرون؟

- الوصول إلى هذه النار لا يتمّ إلا بفعل اختيار.

إمّا أن تختار اللّه وتحبّه وترضيه فتكون معه، إمّا أن ترفُضه، وتستبدله بشهواتٍ وملذّاتٍ عابرة فتخسرهُ!

- أَعدكَ أن أعمل جاهداً كي لا أستحقّها. تصبح على خير.

الاستهتـــار

# الاستهتـــار

- أبي هل لي بحكاية من حكاياتك؟

- بكل تأكيد يا ولدي. وكلامنا اليوم سيكون عن **المزراب**.

ففي ذاتِ يوم قرّر الطابق العُلويّ اجتماعاً طارئاً للغرف والجدران، للأبواب والنوافذ، للمطبخ وغرفة الغسيل، للحمّامات وجميع التمديدات، للسطح وبيت الدّرج. ثمّ عُقدَ الاجتماع، وطُرحَ الموضوع: عائلة محترمة تريد أن تسكن عندنا، وعلينا التداول، إما بالرفض إما بالقبول.

- تدخّل السّطح وقال: لديّ ملاحظة.

- وما هي؟

- لقد غيّبتم جاري المزراب فهلاّ أناديه؟

- أجاب المسؤول: علينا أن ننهي الأمر. وسنخبره لاحقاً. إنه ليس سوى قسطل خارجيّ، لا يهمّ إن حَضَرَ أم غاب.

- عُقد الاجتماع، وتمّ الاتّفاق على استقبال العائلة والعمل على

إسعادها، لأنّ الجميع راغبٌ في استضافتها، والعيش مع عائلة شريفة مثلها.

- وسأل الرئيس: هل من ملاحظات؟

- أجابت الجدران: حبّذا لو نُطرَش (نُبيَّض بالكلس) فنكون أهلاً لهذه الضيافة. تبعتها الأبواب والنّوافذ: إنّ طلاءنا صار قديماً، نتمنّى لو يتجدّد. أما الحنفيّات ومقابض الأبواب وبعض المصابيح، فقد طالبتْ بإصلاحِ أعطالها.

وتقدّم البلاط بمشروع تنظيف وتلميع، فوافق المسؤول. وسار العمل بانتظام، على أن تُجَهَّزَ كلّ الإصلاحات مع نهاية الصيف.
وفي الوقت المحدّد، أُعطي الضوءُ الأخضر للعائلة.

- ولماذا هذا الضوء؟

- يعني أنّه صار بإمكانها الانتقال إلى بيتها الجديد. لقد أصبح جاهزاً. وبالفعل، سكنتْ هذه العائلة في شقّة نظيفة ومريحة، لأنّ الجميع عمل على إسعادها. ومَرَّ كل شيء على أحسن ما يكون، وسعدت العائلة وشكرت الكلّ على جهودهم وتعاونهم من أجل تأمين راحتها.

- وهل عادوا فأخبروا المزراب بما حصل؟

- كلاّ لقد أهملوه واستخفّوا به، لهذا قرّر رفضَ التّعاون معهم احتجاجاً

على تهميشه، وتركه بعيداً عن الاجتماع، متوعّداً بالإضراب عن العمل، وعدم المساهمة في إسعاد العائلة.

- ومرّت الأيّام وأطلّ الخريف. فتغيّر أديم السماء، واسودّت الغيوم، ولمعت البروق، وقصفت الرعود، وانهمر المطر بغزارة، والمزراب ما زال مضرباً عن العمل، نتيجة الاستخفاف والتقليل من الأهميّة به. ارتفع مستوى الماء على السطح، وأخذ يتدفّق من كلّ الجهات، فتسرّب إلى جميع الغرف، وبلّل السجاد وأطراف البرادي، ولحِق بالأسرّة والخزائن، وأكياس المونة، وباقي الأدوات.

ولمّا عادت ربّة البيت ورأت المشهد، صُعقت، وتبدّلت سعادتُها كآبة، وفرحُها حزناً، فاستدعت المسؤول وأطلعته على الأمر.

فتّشوا عن السبب فوجدوه في المزراب. أسرع المسؤول والعائلة وجميع الأعضاء إلى المزراب يتملّقونه ويَرجونه أن يكفّ عن إضرابه، مقدّمين له الأعذار، قاطعين له الوعود، بأنه من الآن وصاعداً لن يكون إلا مُكرّماً. قَبِل المزراب وعاد إلى مزاولة عمله، وسمح للماء المتجمّع على السطح بالتدفّق. وهكذا بعد تعب وعناء، وبعد تنظيف وتنشيف، عادت العائلة إلى سعادتها.

- لماذا لم يوفّروا كل هذه المتاعب بدعوتهم المزراب في حينه؟

- جيّد! إنك عرفتَ السّبب، فهلاّ أوضحتَه لي يا بنيّ؟

- أكيدا! سببه التهميش والاحتقار.

- بل قل إنها الكبرياء باختصار، وكيف قادت أصحابها للاعتذار.

- لقد أضرَّ هذا الحادث بالجميع.

- وفّره أنت يا ولدي بكَرَم أخلاقكَ واحترامكَ المتبادل للآخرين، فتكسب ثقتهم ورضاهم وتتجنّب المتاعب والأحزان.

- معكَ كلّ الحق.

- واحذرْ أيضاً ألاّ يقودك الاستهتار إلى الاستخفاف بالعادات السيّئة، والأخطاء المتكرّرة التي توصلك إلى الطريق المسدود، فتتغيّر حياتك، كما تغيّر مجرى مياه السطح.

- شكراً يا أبي، سوف لن أستخفّ بأحد مهما كان صغيراً.

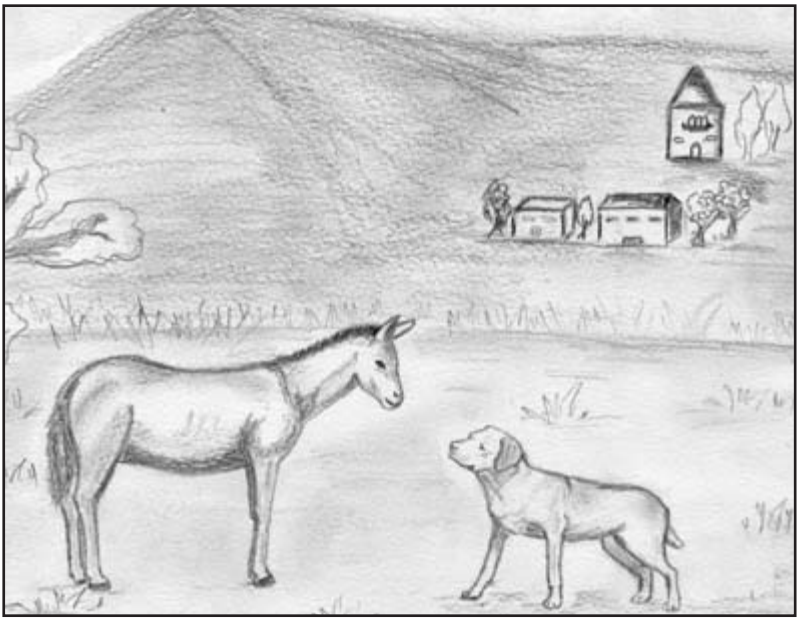

**اقرنوا الأقوال بالأفعال، والإيمان بالأعمال**

# اقرنوا الأقوال بالأفعال، والإيمان بالأعمال

- **كلبٌ وحمار**، زميلان يعيشان معاً تحت سقفِ بيت صاحبهما. غالباً ما يتحدّثان عن نقل البضائع وحماية البيوت، يَرويان القصص، ويمرّ الوقت بسلام.

- سأل الحمار ذات يوم رفيقه الكلب، قال: لماذا يا صاحبي، إن أنتَ نبحتَ، أَخَفْتَ الناس؟ وهرّبتهم من أمامكَ، وجعلتهم يحسبون لكَ ألف حساب؟ بينما أنا مع كوني أضخم منكَ وأقوى، تراني عندما أنهقُ لا يخافني أحد! بل على العكس، أجدهم يبتسمون ويزداد ضحكُ الأولاد، ومني يسخرون!

- لا يحقّ لهم أن يسخروا من عاملٍ نشيطٍ وصبورٍ مثلكَ؛ إنما السخرية من الذين يقولون ولا يفعلون، والذين يعرفون ولا يمارسون.

- فلماذا يتصرّف الإنسان معي هكذا؟

- إنّ الإنسان يا صديقي مخلوق ذكيّ، لا يخاف أياً كان، لا يخاف إلا من الذي يشكّل خطراً عليه أو على حياته.

- ألستُ قويّاً بما فيه الكفاية؟

- إنّكَ قويّ، تحمل الأحمال والأثقال، وصبور على التّعب، لكنّكَ لا تُخيفهم ما دمتَ تقدّم خدماتكَ لهم، وتعمل لصالحهم، وتعيش مسالماً معهم.

- ما معنى أعملُ لصالحهم؟

- أي أن الجميع يستغلّونكَ ويستخدمونكَ لمنفعتهم ولراحتهم.

- وهل أنت بهذه القوّة كي يخافكَ الكثيرون؟

- بالطبع لا، لكنني إن نبحتُ، أخفتُ الكبار والصغار، لأني أقرن الأقوال بالأفعال (أي إني أنبح ثم أعضّ).

- ولماذا يخافون نُباحك ولا يخافون نهيقي؟ أرى أنهم يفسّرون الأصوات حسب مزاجهم وأهوائهم!

- إهدأ يا صاحبي، سوف أشرح لك: إنّ الناس لا يخافون النباحَ بل العضّ الذي يُدميهم ويؤلمهم. مثلما أنهم لا يخافون الحطب بل النار التي تحرقهم. ولا يهتمّون للرّعد بل للمطر الذي يغمرهم ويبلّلهم.

- الآن فهمتُ.

- الحمد للّه، وأخيراً ماذا فهمتَ؟

- لو كنتُ أعضّهم، مع أنّ عضّتي أخطر من عضّتك، لخافني الجميع، ولو كنتُ ألبطهم وأرميهم أرضاً، لكانوا حسبوا لي ألف حساب!

- هذا أكيد، لكن العضّ هو خارج عن طبعكَ.

- وما معنى خارج عن طبعي؟

- يا صديقي، لأنك عوّدتَ أصحابك على حمل الأثقال ونقلها، وصرتَ الخادم الأمين والعامل الصبور في نظرهم، فعلى هذا الأساس أدخلوكَ في خدمتهم، لكنكَ إن تمرّدت وغيّرت طباعكَ (عاداتك)، أصابك منهم الذي لم تكن تتوقّعه.

- وماذا سيصيبني منهم؟

- إنْ أصبتَ أحدهم بأذيّة، فإنهم إما أن يُردوكَ (يرموكَ) قتيلاً، إما أن يُرهقوكَ بالأشغال حتى يأتي أجَلَكَ، وسيزداد انتقامهم، حتى إنكَ بالكاد تستطيع رفع حوافركَ لكثرة ما يُصيبكَ من التّعب والجوع. وهكذا تكون قد قضيتَ على نفسكَ بنفسكَ.

- وماذا عليّ أن أعمل في هذه الحال؟

- هل أنت مضطرّ لإخافة الناس؟

- كلاّ. لقد تخلّيتُ عن هذا الموضوع، لكنّهم ما زالوا يستخفّون بي وبصوتي.

- لا تعجب يا أخي، لأنّ منهم الذين لا يستخفّون بكَ وحدكَ، بل بأنفسهم، وبذويهم حتّى بربّهم وبمصيرهم وخلاصهم، وما من رادع لهم على الإطلاق.

- كيف لي أن أتعامل معهم؟

- نصيحتي لكَ: إيّاكَ والحماقات. إكتفِ بالنهيق ونقل البضائع، ولا تفكّر في أكثر من ذلك، واترك شأن الإنسان. لكنكَ إنْ بقيت مصمّماً على إخافته، ستكتشف أنكَ أنت الذي يجب أن تخشاه، وليس هو، خاصّة إنْ كان قد تعطّل ضميره، وغيّب اللّه عن حياته، فألف حمار مثلكَ، وألف كلبٍ مثلي ليسوا بالحسبان أمام شرّه وبطشه.
فيا صاحبي، مَنْ يجب أن يأخذ حذره من الآخر؟ الإنسان أم نحن؟

- شكراً لك أيها الجار، لأنك ساعدتني على أخذ القرار!

لا وقت للضّياع

# لا وقت للضّياع

خرج الصيّاد ذات يوم باكراً. تنقّل كثيراً. طارد العصافير. وصل مُتعباً، فجلس مستنداً إلى عمود الكهرباء وقال:

- مرحباً أيها العمود.

- فأجابه العمود: أهلاً بكَ أيّها الصيّاد النشيط.

- كيف عرفتَ أني نشيط؟

- عرفت من نهوضكَ باكراً. فقد قلّ مُحبّو هذه العادة، وقلّ معها رزقهم. ولكني أرى أنّ بعض نشاطك يذهب هدراً.

- ولماذا؟

- لأنّك تُلاحق العصافير، خادمة الطبيعة، منظِّمة البيئة وصديقة المزارعين.

- إنها رياضة مسلّية.

- لك كلّ الحقّ في أن تتسلّى من وقت لآخر. ولكن أفضل تسلية هي

التي تعود بالنفع عليك أو على الآخرين، كالرياضة والقراءة، وتعلّم المهارات، وغيرها.

- بما أنكَ بدأتَ الحديث معي، فلي سؤال أطرحه عليك.

- تفضّل سلْ، ولكن باختصار.

- ما بالي أراك هنا واقفاً بلا حراك، يطلع عليك النهار فلا تأبه به (لا تهتمّ به)؛ يُهاجمك الليل فلا تخاف؛ تلعب بك الريح فتصفّر لها؛ تنزل عليك الصواعق فتبدّدها؛ ينهمر عليك المطر فلا تبتلّ؛ وتحرقك الشمس فلا تتأذّى؟

- إنّك دقيق الملاحظة أيّها الصيّاد، وسؤالك في محلّه، وقد تراني أعيش في ظروف قاسية ومناخات غير اعتيادية. لكن تمرّسي وصمودي، أعطياني قوّة الاحتمال، وساعَداني للتغلّب على الصعاب، هذه الصعاب التي يخافها الضعفاء.

- بما أنّك مطّلع على الأمور، ما رأيك لو أكملنا الحديث وأمضينا الوقت؟

- أرجوكَ أيّها الصيّاد، لا تُلهِني عن عملي، فلا وقت عندي للضياع، وإن كنتَ لا تهتمّ بالوقت فالوقت بالنسبة إليّ هو ثمين.

- ضحك الصيّاد كثيراً؛ ولما استطاع الكلام، استفسر قائلاً: وما هو عملكَ يا عزيزي وأنتَ جامد في مكانكَ، واقف دون حراك؟

- ردّ العمود متسائلاً: أراكَ تَسخرُ مني ومن عملي؟

- طبعاً، لأنّ جوابكَ فيه استغراب.

- ألا تعلم أني أحمل قوّةً وأنقل نوراً وأرفع أسلاكاً؟ إني أرفعها باستمرار، ولا يحقّ لي أن أتركها تمسّ الأرض لأنها ليست لما تحت؛ إنما فوق الأرض عليها أن تكون، ولولا عملي واجتهادي لكان تعطّل الكثيرون وتضرّر الباقون.

- لقد أقنعتني بكلامكَ فإنّ عملكَ بغاية الأهميّة، حفظكَ اللّه من كلّ شرّ. لكنك تحيّرني! ألا تتعب؟ ألا ترتاح؟ ألا تَنعس؟ ألا تنام؟

- كلاّ يا صاحبي.فإنه ممنوع عليّ التعب، ومحظّر عليّ النوم. والنوم بالنسبة إليّ هو انكسارٌ ونهاية حياة. قوّتي في بقائي منتصباً، وأهميّتي في عدم حراكي.

- أرى في عملكَ تضحية وبطولة.

- أنتم البشر تسمحون لأنفسكم بالنوم والراحة، بالترفيه والاستجمام، بالنزهات والرحلات، بينما تفرضون علينا العمل باستمرار، وتطلبون منا اليقظة والاستعداد الدائمين. فحبّذا لو تشبّهتم بنا وكنتم متيقّظين أثناء تصرّفاتكم، لكنتم تجنّبتم مشاكل وأخطاراً كثيرة، فكونوا متيقّظين ولا تضيّعوا الوقت سُدىً.

- ألا ترى معي أنك تُبالغ في تقدير الوقت؟

- كلا يا صاحبي، فالوقت ثمين ولا يجوز التفريط به. وإنْ عرفتَ أن تستغلّه، تكون قد فتحتَ أمامكَ فُرَصَ النجاح، وما العمر الذي وُهِبَ لك من اللّه سوى فرصتك الوحيدة لتَتَدبَّر أمر خلاصك، وتؤمّن العيش لدنياك والسعادة لآخرتك.

- كلامك صحيح ومعقول.

انتهى الحوار عند هذا الحدّ. فكّر الصيّاد قليلاً، ثم قام وأكمل طريقه مُتَمْتِماً: اليقظة، اليقظة، لأنه، كما قال العمود: لا وقت للضياع. وإن أضعناه، ضاع العمر معه، وكانت الخسارة كبيرة.

وما إن اقترب الصيّاد من بيته حتى نزع الخرطوشة من بندقيّته، متذكّراً الحديث عن اليقظة، لأنه ربّما لعبَ بها أحد أولاده وهي محشوّة. عندها تكون الكارثة، حيث لا نفع للبكاء والنّدم!

قادرة على أن تغيّر وجه الأرض

# قادرة على أن تغيّر وجه الأرض

- هل تذهب معي يا ولدي إلى طبيب العيون؟

- لماذا تريدين الذهاب يا أمّي؟

- عليّ أن أفحص عينييّ دوريّاً، لتكون زُجاجات النظّارات التي أضعها متناسبة مع قوّة نظري.

- أليستْ كلّ النظارات مثل بعضها البعض؟

- كلاّ يا حبيبي، لأنّ لكلٍّ عين مرضها الخاص. وربّما صدقت الحالة ذاتها عند الآخرين، لكنّه لا يجوز استعمال نظّارات الغير، لأنّها قد تؤذي العين وتسبّب لها الأوجاع. لهذا علينا التأكّد من تَناسُب قياسها مع عيوننا.

- الآن فهمت لماذا دارت بي الأرض عندما وضعتُ نظارات جدّتي أمام عينيّ.

- إعلم يا بُنيّ إنّ هذه القطعة الصغيرة من الزجاج أو (البلاستيك)،

والتي نضعها أمام عيوننا كي تساعدنا في حياتنا؛ إنها لا تساوي شيئاً كمجرّد زجاجة، حتى إنك إن وجدتها على الأرض أمامك لا تهتمّ بها.

- إذاً، لماذا ندفع ثمنها غالياً؟

- إنّ السرّ يكمُن في صُنعها وانحنائها على درجات معيّنة، محدّبة كانت أم مقعّرة.

- ما معنى محدّبة ومقعّرة؟

- أنظر مثلاً الى قشرة الليمون، فهي مقعّرة من الداخل ومحدّبة من الخارج.

- وما دخل انحناء الزجاج في النّظر؟

- إنّ هذه القطعة من الزجاج، في انحنائها تُصبح أكثر قدرة على حلّ مشاكل النظر عند مرضى العيون، وتخفيف آلامهم. والطّبيب المختصّ، هو الذي يحدّد لكلّ مريض قياسات نظّاراته ودرجة انحنائها.

والزّجاج الطبّي يصحّح مجرى النور، ويمكّن العين من مشاهدة الصورة بوضوح، وبدون ألم أو تعب.

- ألهذا السبب نرى الكثيرين يضعون النظّارات الطبيّة؟

- نعم يا حبيبي. ونرى أيضاً الأصحّاء يضعون النظّارات العاديّة

لتخفيف نور الشمس، وخاصة في أيام الصيف أو أثناء قيادة السيارات، أو خلال التزلّج...

- أرى أنها أصبحت من الضروريّات؟

- أمر أكيد. وأريد أن تعرف كم وكم خفّفت هذه الزجاجة علينا من متاعب في انحنائها، أي في حنوّها وحنانها على مستعمليها! وكم وفّرت على مرضاها من أوجاع وآلام! وكم ساعدتهم في تخطّي الصعوبات الناتجة عن ضعف نظرهم! ولولا هذه الزجاجة الصغيرة التي نضعها أمام عيوننا المريضة، لبقينا نتألّم عاجزين عن متابعة دراستنا، وعن أداء الكثير من الوظائف والأعمال، ولربّما تعطّلت أعداد لا يستهان بها من الشعوب، بسبب ضعف بصرهم.

- ألهذا الحدّ هي فعّالة؟

- بالطّبع، وإن كانت مجرّد زجاجة منحنية قد استرعت اهتمامنا، لأنها حَمَتْ عيون الكثيرين، ومكّنتهم من الرؤية بوضوح، فكم بالحري انحناء الأم وحنوّها على أولادها؟ وأيضاً، كم هو ضروريّ حنوّ الأقوياء على الضعفاء؟ وحنوّ الأغنياء على الفقراء؟ والقادرين على العاجزين؟

- كلامكِ صحيح، ولكن ماذا يحدث إن لم ينحنوا، ويحنّوا؟

- إنْ لم يفعلوا، تكون قد حلّت القساوة والأنانية في القلوب، فتتغيّر

عندها التصرّفات، وتتعدّد المظالم والمتاهات، وتكون البشريّة قد حكمت على نفسها بالفناء والزوال.

- نجّانا اللّه من الظلم والقساوة يا أمّي!

- واعلم أخيراً أن الرحمة والحنان، يا ولدي، ينبعان من المحبّة، أي من اللّه (لأن اللّه محبّة) ومن ترك اللّه فَقَدَهُما. وبقولي لكَ: عليكَ أن تنحني على إنسانٍ ما، أي أن تحنّ عليه وتساعده؛ وإن ساعدته تكون قد أسعدته.

لهذا فالمحبّة قادرة على أن تغيّر وجه الأرض، وتُسعد الجميع.

- شكراً وألف شكر لأَحنّ أمّ. إني أعدكِ ألاّ أنزع الرحمة والمحبّة من قلبي!

حوّل آلامك الى فرح وقَداسة

# حوّل آلامك الى فرح وقَداسة

- ذات يوم، سأل الجرسُ خادم المعبد قال: لماذا تأمر أتباعك وتساهم معهم في ضربي وإيلامي؟ وما أستغربه، أنّ الذي يتولّى ضربي، هو الأقرب إلى ذاتي، وإلى قلبي (أي الضرّابة).

ولا يتوقّف واحدهم عن قرعي والتأرجح بي، حتى يَسمع الجميع صراخي، ويدوّي صوتي في النّاحية والجوار، فتَحزن الأودية القريبة وترثي لحالي، وتُردّد أنيني؛ فهل يُعقل هذا الأمر أيّها الخادم الوقور؟

- لا تكرّر هذا القول ثانيةً أيّها الجرس الحبيب. فأنتَ محبوبٌ من الجميع، وأنت في قلوب الجميع، والكلّ يشتاقون إلى سماع صوتكَ الرنّان وخاصّة الشبّان. أَلا تراهم يَتهافتون عليك؟
ألا تعلم أنه لا يحقّ إلاّ للسواعد القويّة أن تتمسّكَ بكَ؟ وأنّه لا يَصِلْ إليك إلاّ من كان جديراً بكَ؟

- أراهم تارة يتباهون، وطوراً يتمرّنون، يبدأون ولا يتوقّفون.

- إنّها حيويّة الشّباب، لكنكَ في نظرهم تبقى رفيع المقام. أنت فوق

الجميع، وأعلى من الجميع، وكلّهم يحترمون مواعيدكَ، وبأوامرك يأتمرون.

- كيف هذا، وهم يمارسون معي أساليب التعذيب؟

- ألا تعلم أنك إن ناديتهم يأتون، وإن حزنت، معكَ يحزنون؟ كما أنهم لفرحك يفرحون؛ وفي حال الخطر، على دقّاتك يُسرعون. فماذا تريد بعد منهم أن يفعلوا؟

- أنت لطيف معي أيها الخادم، وكلامكَ منطقيّ. أرجوك أن توجّه لهم تحيّاتي.

- سأكشف لكَ أمراً مهمّاً يتعلّق بك أيّها الجرس العظيم.

- وما هو هذا الأمر؟

- إعلمْ يا صاحبي أنك مصنوعٌ من النّحاس والفضّة، وكلّما زادت نسبة فضّتكَ، أتى صوتك صافياً رنّاناً.

- الآن علمتُ لماذا أُضرب.

- أرجوك، أيها الجرس، لا تعكس حقيقة الأمور.

- قُل لي إذاً، أَلستُ أُضرب من أجلِ صوتي؟

- سأشرح لكَ. فهذا من حقّك عليّ. إنما في العمليّة شدّ وردّ للحبل المعلّق في الزند المركّز عليك، فتتأرجح الضرّابةُ في داخلكَ،

وترتطم بجوانبكَ، فَتُصدر أصواتاً أحبّها المؤمنون وتعوّدوا عليها. وهكذا تكون أنت المنادي على المختارين لكمالِ القدسيّات وممارسة طقوسِ العبادة. ألا تفرّحك وتشرّفك هذه الخدمة، في سبيل خلاص النّفوس؟

- إنّها تشرّفني كثيراً، ولكن ألا توجد طريقة تُريحني من عناءِ الضّرب؟

- طُرُقٌ عديدة قادرة أن تُريحك، لكنّه يُخشى من الاستغناء عن خدمتك، لتصبح مهملاً منسيّاً، وقد تُصهر (أي تُذاب) فتصير معدناً رخيصاً وتدخل في خدمةٍ أقلّ شرفاً مما أنت عليه.

- وهل تريدني أن أعيش العمر متألّماً؟

- طبعاً لا، لأنّه لا يُعقل أن يرضى أحد بالألم من دون سبب، ولكنْ إنْ فَرَضَتْهُ علينا الظروف، واضطررنا لاحتماله، علينا أن نواجهه كما يلزم.

- وكيف تكون هذه المواجهة برأيكَ؟

- سأوضح لك الأمر بإسهاب. فمنهم من يواجهه بالصبر، كالمرضى والحزانى وأصحاب العاهات...

ومنهم الذين يحتملونه من أجل تحسين ظروفِ حياتهم، كالعمّال والرياضيّين وأصحاب الحِمْيَة...

أو الذين يقبلونه عن طريق الإيمان، كالصائمين والمتعفّفين والعاملين في المجالات الإنسانيّة والخيريّة.

لكنّ الرافضين لواقعهم المؤلم والمفروض عليهم سيتعذّبون مرّتين: مرّة نفسيّاً، وأخرى جسديّاً. وربّما قادَهم وضعُهم للكفر، وقطع الرّجاء. وفي كلّ الأحوال، إنّ المتألّمين لمجدِ اللّه وحدهم سيتعزَّون.

فيا أيّها الجرس الحبيب والمتألّم الأكبر، إنّك إن عرفت كيف تستغلّ ألمكَ وتحوّله إلى خدمة وقداسة تمجيداً للّه، سيجعلك ربّك عظيماً بمثلكَ الصالح، وقُدوة للمؤمنين.

- شكراً لكَ أيّها الخادم العارف بالأمور. لقد فرّحتني بلقائكَ وأقنعتني بكلامكَ!

**في ظنّه أنّه يغشّ الآخرين**

# في ظنّه أنّه يغشّ الآخرين

- أبي! هل لي بقصّة!

- بالطّبع يا حبيبي. سوف أَروي لك أحلى القصص. وحديثنا اليوم سيكون عن ملك عظيم، غنيّ بالحكمة والمال، أراد أن يقوم بجولة تفقّديّة يتعرّف من خلالها على أبناء مملكته واحتياجاتهم.
لقد قرّر أن يَقصد إحدى مقاطعات المملكة البعيدة. ولما وصلها، استقبله وكيله مع أبناء الشعب استقبالاً حافلاً.
سُرّ الملك بهذا الاستقبال وفكّر في أن يكافئ مُمثِّله في تلك المقاطعة.

- وبماذا أراد أن يكافئه؟

- لقد أراد الملك أن تكون المفاجأة بيتاً جديداً، يبنيه الوكيل بذاته. ولأجل ذلك، طلب منه أن يدلّه على مكانٍ قريبٍ يصلح للسكن. فكان أن دلّه على تلّة مُشرفة على مناظر خلاّبة تُطيلُ العمر.
أُعجِب الملك بالموقع كثيراً، وقال: كم أرغب في بناء بيتٍ على هذه التلّة.

- لماذا يا مولاي؟

- لأني أريد أن أستريح فيه أثناء سفري وتنقُّلاتي.

- سمعاً وطاعة.

- وأكمل الملك: عليك أن تستقدم البنّائين، وتحسب كلفة البناء، وسأعطيكَ المال اللازم، مع بعض الزيادة تحسّباً للتوقّعات. وعليك تنفيذ هذا المشروع بدقّة وسرعة، لأتمكّن من استعماله في أقرب ما يكون، وسأترك لكَ حرِّية اختيار العمّال والحِرَفيّين وشراء المواد واللوازم. ولا تَعُد إليَّ إلاّ وقد أنجزتَهُ.

- حسبما تُريد يا صاحب الجلالة.

- ما أسعد حظَّ هذا الوكيل يا أبي، لأنّ الملك وثق به، وأعطاه الكثير من المال.

- كان حظّه سعيداً، لو أنّه حفظ الأمانة.

- وماذا فعل؟ هل أساء التصرّف؟

- إليكَ ما جرى: فبعدَ أن عاد الملك إلى مقرِّه، راح صاحبنا يتلاعب في تنفيذ البناء ويقلّل من المواد اللاّزمة. كما استقدم أرخص البنّائين والعمّال، وقَصْدُه من ذلك كلِّه، هو التوفير وعدم الإنفاق. ومن ثمَّ، قلّل من عمقِ الأساسات، وبنى الجدران بحجارة سيِّئةٍ. وهكذا شأن السطح، والأبواب والشبابيك، وباقي مستلزمات البناء.

واكتمل البناء على العديد من النواقص والسيّئات لأنه من أجل التوفير، اعتمد وكيلنا على الغشّ وقلّة الضمير.

وهكذا نتذكّر قول الكتاب: "**إنّ حُبّ المال هو أصل كلّ الشّرور**".

- وماذا فعل بالأموال التي وفّرها؟

- سؤال في محلّه. لقد راح يصرف ما جمعه على الولائم والسهرات، ومعاشرة الأردياء، وعاش فترة طويلة على هذه الحال، وكأنّه متموّل كبير أو تاجر قدير.

- وهل استمرّ طويلاً على هذا المنوال؟

- كلا، لأن أيام البذخ والترف قد انتهت بانتهاء الأعمال.

- ألم تنعكس هذه الأمور على نوعيّة البناء وجودته؟

- بالطّبع، لأنّ الوكيل قد بنى بيته بأرخص الأثمان وأسوأ المواد. العيوب ظاهرة للعيان. فتجد أن السطح مشقّق يسرّب المياه، والحيطان ملتوية، والأبواب مفسّخة، والهواء يتلاعب فيها، وكل ما فيه لا يدعو إلى الاطمئنان.

- ألم يعلم الملك بذلك؟

- لقد أسف للنبأ، ولكنّه لم يُبدِ قلقاً ما دام البيت سيكون من نصيب الذي بناه.

ومن أجل هذا، بقي الملك منتظراً قدوم وكيله ليحسم الأمر ويحاسبه على ما فعل.

وبعد فترة عندما حضر أمامه، استقبله قائلاً:

- آمل أن يكون البيت الذي بنيته صالحاً ولائقاً.

- من دون شكّ يا مولاي.

- إني أقدّر لك جهودك، وأشكرك على ما فعلت من أجلي. ولكن بما أنّك تقدّمتَ في العمر، وصار لزاماً عليك أن ترتاح، فإني قرّرت أنْ أُنهيَ خدماتكَ، وأنْ يكون البيت الذي بنيته هديّةً مني لكَ ولعائلتكَ، تقضي فيه باقي أيام حياتك. وعليكَ تسليم منزلك الحالي لمن سيأتي بعدك في الوظيفة، فمبروك عليك المنزل الذي بنيته.

حزن الوكيل حزناً عظيماً، وكان وَقْعُ النبأ عليه كالصّاعقة، لأنه عارف بعدم صلاحية السّكن في هكذا بيت.

- مسكين هذا المسؤول يا والدي، لأنه ظنّ أنه سيخدع ملكه، وإذا به يخدع نفسه. لقد خسر بيته ووظيفته معاً، وأيضاً نُزعت منه وكالته لعدم أمانته.

- بالصّواب أجبت يا بُنيّ! فكم وكم من المؤتمنين على العديد من الأمور، تجدهم يتلاعبون ويحمّلون ضمائرهم في سبيل مصالحهم، أو في سبيل جمع المال، وإذا بهم أصحاب ثروات وكأنها هبطت عليهم

من العلاء. وإنّ عدوى الغشّ والفساد قد وصلت إلى جميع الفئات، لينحدروا بضميرهم من قمّة الصّدق والإخلاص إلى حضيض الكذب والاختلاس، وإنّهم إن استطاعوا أن يُفلتوا في هذه الحياة، ففي الآخرة هل يستطيعون؟

فيا ولدي إنّ ملكنا العظيم هو اللّه ونحن وكلاؤه المؤتمنون على كلّ شيء، وقد أعطانا جميع ما يلزم لخلاص نفوسنا، ولتأمين بيتنا في دار الخلود. ونوعيّة هذا البيت مُرتبطة بسلوكنا وأمانتنا لإلهنا ما دمنا على قيد الحياة. فهلاّ عملتَ لتأمين بيتك الأبدي؟

- إني أعدُكَ يا أبي الوعد القاطع، بأني سأكون عند حسن ظنّك. تُصبح على خير.

وحدهم المتيقّظون

# وحدهم المتيقّظون

- إليك يا ولدي هذه الحكاية.

- شكراً لك يا أغلى أب في الدّنيا، ولكن عمّا تحكي هذه الحكاية؟

- إنها تتكلم عن سفينة كبيرة محمّلة بالركّاب والبضائع، أبحرت ذات يوم، وراحت تشقّ طريقها بأمان وسلام. فالبحر هادئ، والموج خفيف، وكلّ شيء يسير على أحسن ما يرام.
وبعد فترة من إقلاعها، تغيّر الطقس، وهطل المطر بغزارة، وهبّت الرّياح العاتية عليها وهي في عرض البحر، فأخذت الأمواج تتلاعب بها، ترفعها معها حين ترتفع، وتهبط بها عندما تهبط.
أحسّ القبطان (قائد السفينة) بالخطر، وخاف من سوء المصير.

- وماذا يفعل القبطان في هكذا أحوال؟

- عليه أن يأخذ جميع الاحتياطات والتدابير. لذلك جَمَعَ البحّارةَ ووضعهم في الأجواء، ثم أوضح خطورة الأمر لباقي الركّاب، وأمر أن تُوزّع عليهم ألبسة النجاة قائلاً لهم: على كلّ واحد منكم ارتداء سترة

نجاته هذه، فالبحر غدّار ولا يجوز التخلّي عنها مهما يكن، لأنها تنجّيكم من الغرق وهي خلاصكم الوحيد بعد اللّه.

- كيف تكون هذه الألبسة يا أبي؟

- إنّها أثواب مطّاطيّة، مليئة بالهواء تُمكِّن لابسيها من العوم (البقاء) على سطح الماء.

- هل من المحتمل أن تغرق السفينة؟

- ربّما يحدث ذلك، لأن القبطان صارحهم قائلاً: إنّ الخطر وارد في كلّ لحظة، ولا أمل لنا بالنجاة ما لم تهدأ العاصفة ويتحسّن الطقس، كما أنّ السيطرة على القيادة هي معدومة، ونحن تحت رحمة اللّه. وما عليكم سوى تنفيذ جميع التعليمات، وتحمُّل المصاعب والمشقّات علّكم تُخلَّصون.

- وبمَ تقضي هذه التعليمات يا والدي؟

- إنها تطلب من الجميع، بحّارة وركّاب، بارتداء أثواب النجاة، والبقاء على سطح الباخرة مهما كلّف الأمر، لأنّ حوادث السفن غالباً ما تكون سريعة ومأساويّة.

- هل هذا طلبٌ معقول؟ وهل يتمكّن الركّاب من البقاء في هذا الطقس الرديء، منتظرين على السطح في العراء.

– الخلاص له ثمنه يا ولدي، وخاصة إن كان يتعلّق بالحياة، فأيّهما تفضّل؟

– طبعاً تحمّل المطر والبرد، ولا الغرق.

– بالصواب أجبت.

– لكن قل لي، كيف تصرّف الركّاب بعد سماع الإنذار؟

– لقد تعدّدت ردّات فعلهم. فمنهم من بقي مستعدّاً وملتزماً رغم قَساوة الطبيعة، ومنهم من رمى بسترة نجاته جانباً وهو يردّد: ألبَسُها عند اللّزوم، ومنهم من نزل إلى غُرَفِ نوم السفينة، غير مهتمٍّ بما سيحدث.

– وماذا جرى بعد ذلك؟

– لقد اشتدّت العاصفة، وساقت السفينة نحو المجهول، فتركَ القبطان القيادة واستسلم للأقدار، وحدث ما كان متوقّعاً، لأن الأمواج حملت السفينة نحو الشاطئ وصدمتها بإحدى الصخور فتحطّمت للحال.

كانت صدمة قويّة، رمت بالرّكّاب إلى الماء، فنجا المستعدّون وغرق الباقون مع حطام باخرتهم.

– إنها قصّة مُحزنة ومروّعة! ولكن ماذا بشأن الذين أبقوا ألبسة نجاتهم جانباً؟

– إنّ هؤلاء غرقوا أيضاً يا بنيّ، لأنهم التزموا بكلام الربّان مبدئياً، لكنهم

امتنعوا عن التنفيذ عملياً، فانطبق عليهم مَثَلُ نِصْفِ تلميذ، أو نِصْفِ مؤمن، **وأنصاف الحلول ليست بحلول**. والتلميذ الذي لا يعمل إلاّ نصف واجباته، ألا يُلاقي نتيجة التلميذ الكسلانِ ذاتها، أي الرسوب؟

- بالطّبع، فأمرُ هؤلاء الركّاب غريب! ألم تكن حياتهم في خطر مثل غيرهم؟

- إنه الطبع البشري يا ولدي. فكلّ واحد يتصرّف انطلاقاً من قناعاته وبيئته وعاداته.

- الآن تأكّد لي أنّ العادات، إذا ما تأصّلت في نفوسِ أصحابها، قادرة على أن تتغلّب عليهم وتجرّهم وراءها كالعميان.

- من أجل ذلك، أطلبُ منكَ يا بُنيّ، أن تتروّى في تكوين قناعاتك، ولتكن صالحة ومفيدة، كي لا تضيّعك معها، وتغيّر لكَ مجرى حياتك.

- أعدكَ يا والدي أن أبقى حذراً في هذه الأمور.

- وَعْدُكَ هذا فرّح قلبي وطمأنني. وكم أتمنّى لو تكون قد استفدت من هذه العبرة! (أي من تصرّفات الركّاب).

- لقد أثّرت فيّ. لكني أفضّل لو توضحها لي على طريقتك.

- تُعجبني صراحتك يا ولدي، واعلم أنّ الناس في حياتهم الروحيّة يشبهون ركّاب السفينة في تصرّفاتهم، فهم عدّة فئات. منهم الذين

يطيعون كلام اللّه (ربّان سفينة الحياة) فيخلصون، ومنهم الذين لا يطيعون، ومعصيتهم تجعلهم ينجرّون وراء شهواتهم وميولهم، فإذا برياح التجارب والخطايا تعصف بهم فيهلكون.

- شكراً لك وألف شكر على قصّتك هذه يا والدي!

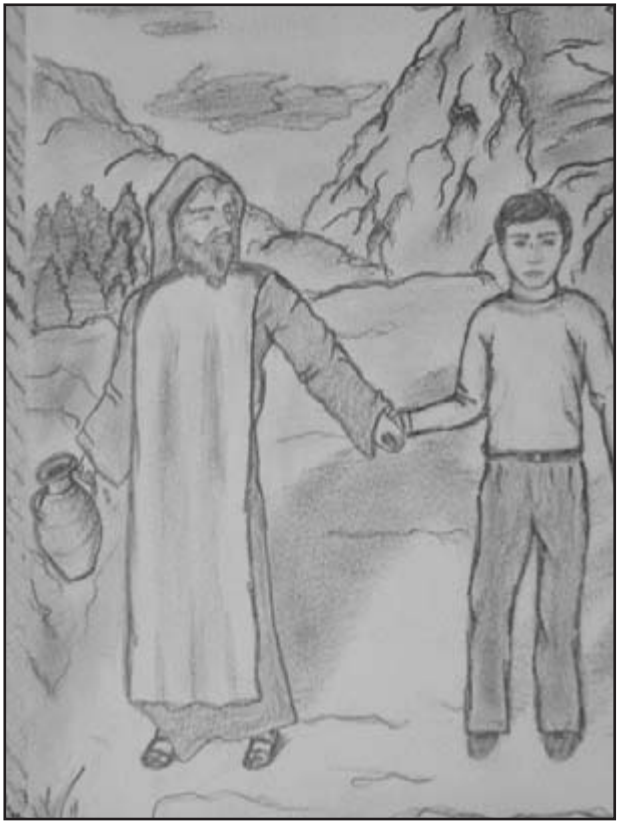

لا بدّ من الاختبار

# لا بدّ من الاختبار

شاب في مقتبل العمر يتساءل، والسؤال قد حيّره وجعله بين الشكّ واليقين.ولا بدّ من عارف للأمور يعطي الجواب الصحيح، والبرهان القاطع، الذي يقنع السامعين.

فكّر كثيراً ولكن دون جدوى، وليس له سوى الناسك المتعبّد لله، الذي يعيش منفرداً في كوخٍ بسيط، على ضفّة النهر المنساب في تلك المنطقة.

قصد الكوخ باكراً، ولما وصله، سلّم على الناسك.

فردّ له سلامه بانحناءةٍ متواضعة.

- ثم تابع الشاب وقال: أيها الشيخ الجليل، أتسمح لي أن أطرح عليك سؤالاً طالما حيّرني وعذّبني.

- ما الذي يُقلقك يا بنيّ ويشغل بالك؟

- أريد التأكّد من أمر يتعلّق بالخلق والتكوين. لهذا قَدِمْتُ إليك، علّك تساعدني في فهم هذه الحقيقة.

- وما هو سؤالك يا ترى؟

- إنه يطرح مشكلة روحيّة إذ يقول: هل يستطيع الإنسان أن يعيش بدون اللّه؟

بقي الناسك صامتاً من غير جواب. لكنّه حَمَل جرّته بيد وأمسك الشاب باليد الأخرى، واتّجه به نحو النهر القريب.

عندما وصلا، ملأ الجرّة وتركها جانباً، ثمّ جرّ ضيفه إلى الماء، وبسرعة أمسكه من عنقه وغطّس له رأسه تحت الماء، وكأنّه يريد القضاء عليه.

فُوجئ الشاب بالحدث، وراح يحاول الإفلات. لكن الناسك كان يعيده إلى الماء وبقوّة أكبر. وبعد أن ضاق نَفَسُه وكاد يختنق، انتفض الشاب في محاولة يائسة، وتمكّن من الإفلاتِ ورَفْعِ رأسهِ فوق الماء.

أخذ نَفَساً عميقاً، ثم نظر إلى الناسك غاضباً وقال:

- أما كنتَ خنقتني؟ ماذا عملتُ لك؟ أمن أجل سؤال فعلتَ بي هذا؟

- ابتسم الناسك، وأظهر كل دلائل الأسف والاعتذار قائلاً: سامحني يا ولدي، كان لا بدّ لي من أن أُدخلك في هذا الاختبار.

- أَتسمّي هذا اختباراً أم محاولة قتلٍ وانتحار؟

- أُجدّد لك اعتذاري لأني كنت مضطرّاً إلى القيام بهذه المحاولة، لكن

قل لي: ما هو الأمر الوحيد في الوجود، الذي كنتَ بأمسّ الحاجة إليه، عندما كان رأسك تحت الماء؟

- طبعاً الهواء.

- وهل كنتَ تبدّله بثروات الأرض، ومالِ الدّنيا؟

- طبعاً لا، فهذا غير وارد.

- والآن بعد أن عرفت قيمة الهواء وأهمّيته، حين مُنِعْتَ منه لبعض الوقت، صار بإمكاننا القول: إنك، أنت والهواء متّحدان غير منفصلين بسبب التنفّس، وأؤكّد لك أنّك لا تبدّله ولن تستبدله بأي شيء آخر، أو أن تستغني عنه بأي شكل من الأشكال.

- صحيح ما تقوله أيها العارف بالأمور.

- وكما أنّك لا تستطيع العيش بدون هواء، فإنّك لن تستطيع عيش الحاضر أو الأبديّة بدون اللّه.

- هلاّ أوضحتَ لي ذلك؟

- يا أخي، شِئتَ أم أَبيتَ، فأنتَ مُرتبط باللّه وهو مرتبطٌ بك. أنت مرتبط به، لأنّه خلقك وأعطاك الحياة، وجعل فيك روحاً من روحه، وصيّرك ابناً له.

لقد خلقك على صورته ومثاله، على صورته، كإنسان عاقل ومحبّ، وعلى مثاله، كإنسان ناطقٍ بالكلمة وحرّ التصرّف، ولا يطاله الفناء.

وهو مرتبط بك بفعل محبّة وأبوّة. لقد أحبّك حبّاً بلا حدود، وتبنّاك، ولا يمكنه التخلّي عنك إلا إذا رفضته بإرادتك، وابتعدت عنه بملء حرّيتك.

- أحقاً ما تقول؟

- إليك يا بنيّ ما ألهمه اللّه للأنبياء القدّيسين في صلواتهم، إذ قالوا: "وما الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تَفتقده؟ دون الإله حططّته، بالمجد والكرامة كلّلته، وعلى صنع يديك سلّطته، وكل شيء تحت قدميه جعلته" (مزمور ٨).

- كلام رائع لم أسمع به من قبل! فيه تمييز واضح وإكرام زائد لإنسانٍ مخلوقٍ مثلنا!

- نعم يا أخي أنت لست رقماً في حساب خالقك، ولا عمل صُدفة عَمِلَه، بل أنت في ضميره منذ الأزل، يحبّك ويريدك أن تكون له. لذلك تراه يَرْعاكَ ويدرّبك ولا ينظر إلى هفواتك، وإن سألته صفحاً سامحكَ. وبعمليّة حبٍّ عظيمة يقودك لتعيش معه وبرضاه، ليوصلك فيما بعد إلى جواره، أي إلى ملكوته، فَتَسْعَدَ إلى آخر الدهور.

- كلامك جميل ومقنع أيّها الناسك، فأكمل من بعد أمرك.

- نعم لقد أعطاك أن تكمّل عمل الخلق معه، ووضع فيك عقلاً لتبحثَ عنه وتتعرّف إليه، وتبادله حباً بحبّ. لقد ملأ قلبك حناناً لتتفهّم حاجات إخوتك البائسين والمساكين، فتخدمهم وتعطف عليهم وترحمهم، فيتمجّد اللّه بك، وتتمجّد به.

فيا أخي، هل ستحافظ على ذاتكَ أنتَ صورة اللّه ومثاله؟ بمعنى أنك هل ستبقى صورة جميلة، تعكس إرادة ربّك وتعاليمه، وتحافظُ على جمالها الإلهي؟ أم أنك تريدها صورة مشوّهة بالخطيئة رافضةً كل علاقة بخالقها؟

- أشكرك على اهتمامك الزّائد بي، وأعدك أيها الشيخ المحبّ، أن أعيش أفضل علاقة مع من أعطاني كل هذه النِّعَم، وأَحبّني حباً بلا حدود!

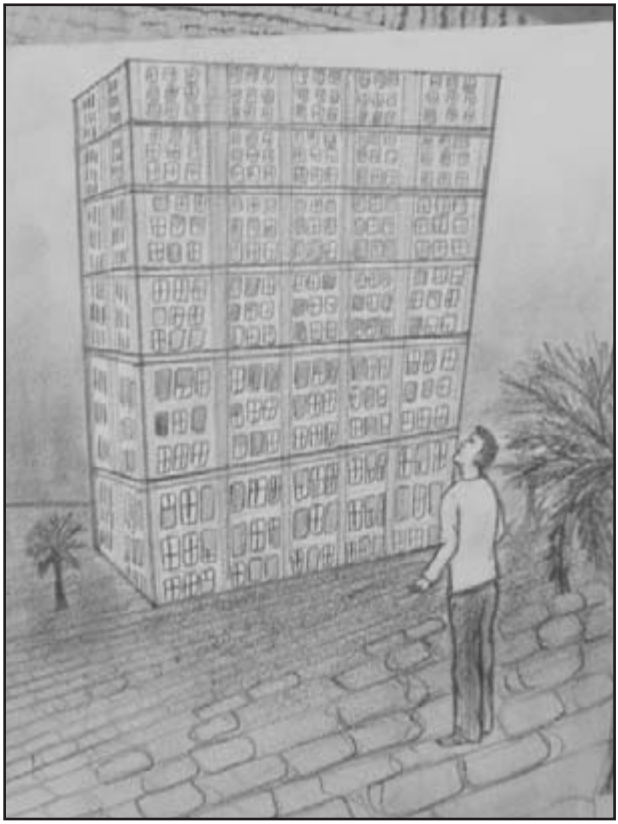

رِحْلَة الأَحْلام

# رِحْلَة الأَحْلام

لا يُفكِّر إلا بالمال. حُلمه الثراء. تراه يخطّط ويحسب. مُتشاغل على الدّوام. هو فقير في ظاهره، غنيّ في تفكيره. غالباً ما يتوقّف ليتأمّل وليشتهي. وما أصعب المنال! فيخيب ظنّه مع تبخّر الأحلام. واقعه أليم، والقلق ينغِّص حياته.

يشتهي كل شيء، ويرغب في امتلاك كلّ شيء. إنْ مرّت به سيّارة استحسنها وردّد في داخله: هذه تصلح لي؟ وإن أعجبه بيتٌ قال: آه لو كان عندي مثله! وإنْ رأى حقلاً رغب في اقتنائه. في حديثه مرارة. إنه يعرف عن الغِنى أكثر من الأغنياء أنفسهم، وكلامه يطول عنهم، وخاصة عن الحفلات والمآدب والسهرات واللقاءات، ومَنْ يسمعه يظنّه من أصحاب الملايين.

ذات يوم، وفيما كان يجوب شوارع المدينة، مرَّ بِهِ بائع أوراق (يا نصيب)، فاشترى ورقتي (لوتو ويا نصيب)، طواهما ووضعهما في محفظته. وأكمل سيره وهو يعلّل النفس بالحظّ، ويبني الأحلام على أنّه الرابح الأكبر، وكأنَّ النتائج حُسِمَتْ، والأموال تأمّنتْ، وأصبحت في

متناول اليد، وبدأ ببناء مملكته وتوسيعها إذا قال: سأشتري بيتاً شتويّاً في المدينة، و"شاليه" على البحر لأيّام الحرّ، وبيتاً صيفيّاً في الجبل، تحيطُ به مزرعة واسعة الأرجاء، أغرس فيها من جميع أنواع الفاكهة والخضار، ومن الأفضل أن يكون في المزرعة نبع ماء أو عينٌ صغيرة عذبة وباردة.

هذه المزرعة يلزمها العديد من العُمّال والفلاحين، وتحتاج إلى مَنْ يشتري الحاجات ويبيع الإنتاج، وسيقوم على حراستها رجال أشدّاء، وسأتدبّر شخصيّاً أمر العمّال والفلاّحين، وسأختار الأُمناء منهم، وأفضّل أن يكونوا من المتمرّسين، وسأعطيهم رواتب معقولة، ولا زيادة إلا للنشيطين.

سأمتّعُ عينيَّ بمنظر القطعان، وأتسلّى برؤية صغارها وهي تجيء وتروح. سأراقب المزرعة بنفسي، وسأهتمّ بنوعيّة الزراعات، وسأطّلع على أدقّ التفاصيل.

في المدينة سيكون لي الخدّام والطبّاخون، السائق والناطور. سأستقبل الزوّار وأفضّل الطبقة الراقية منهم، وأصحاب المستوى الرفيع.

سأحيي السهرات العامرة التي يتخلّلها الغناء والموسيقى. وفي الصيف ستكون لي أيّام حلوة على البحر. وإذا تمكّنت سأشتري يختاً صغيراً

أستريح فيه مع عائلتي وأصحابي، وهكذا سأكون قريباً وبعيداً عن الناس في آنٍ معاً.

إني أحتاج لعدّة سيّارات لتؤمّن لي أسباب الرّاحة والرفاهيّة، ولأستعملها في تنقّلاتي ونزهاتي وملاحقة أعمالي.

وفيما هو في قمّة أحلامه أدركه التعب، فوقف أمام بناية عالية قيد الإنشاء، وراح يعدّ طبقاتها، وإذا بالعمّال يرمون بقايا الباطون والبحص من أعلى البناية، فدخلت في عين صاحبنا حبّة رمل قاسية واستقرّت بين الجفنِ والبؤبؤ، وجرحت طبقة العين الخارجية، فآلمته وعذّبته.

لكنّه راح يفتحها ويغمضها ويفركها بيده، والألم يتضاعف، والدّموع تسيل. إنعدمت الرؤية في عينه، وانحصر همّه في وجعه، فنسي البناء والبنايات، المال والمقتنيات، البحر والمغريات، المزرعة والمزروعات، ولم يعد يريد سوى التخلّص من حبّة الرمل هذه. لقد عاد صاحبنا إلى حجمه، واستقرّ عند حقيقته.

وبعد فترة تأمّل وتفكير، راح يردّد ويقول: يا للهول! لَمْ يَدُمْ حُلمي سوى لحظات. لقد نسفته حبّة رمل. حُلمي لم يكن سوى كابوسٍ لأنّ شهوة الامتلاك عندي فاقت المعقول.

سمعه جاره فقال له: يا صاحبي، حُلوة هي الأحلام لأنها تنقلنا إلى أبعد من واقعنا، وتُدخِلنا في شعورٍ مُستحبّ ومقبول. وجيّدةٌ إن تحقّقت، وحقّقت معها خير الناس من عدالة وسلام. وهناك حُلمٌ ضروريٌّ أراده

اللّه لنا، ألا وهو خلاص نفوسنا بعد هذه الحياة، حبّذا لو نسعى جميعنا لتحقيقه.

لكن خطر هذه الأحلام قد يتعاظم، إذا ما بُنِيَتْ على الشرّ والفساد واستعمال الطُرق الملتوية لتحقيق أهدافها.

أو إذا ما جَعَلتنا نُقارِنُ أوضاعنا بأوضاع الآخرين، فقد تُعيدنا إلى واقعنا الأليم، وربّما لا نكتفي بالشّكوى والتذمّر، بل قد نتعدّاهما إلى الرفض والثورة وأخذ المواقف الهدّامة، التي تؤثّر سلباً على كلِّ تقدّم ونجاح، في مسيرة حياتنا.

نعم، حبّة رمل واحدة عطّلت عَين هذا الحالم الخيالي، لأن عينه لم تكن لتشبع أو لترضى بالأرضِ وما عليها. وبين الأحلام والواقع، **تبقى القناعة سيّدة الموقف**، تحكُمُ على الأمور وتُسيّرها، قناعةٌ تقبل بالأمر الراهن، وتستعدّ بهدوء وسلام لما هو أفضل.

أما المتطلّبون، فقد يطول انتظارهم إلى ما شاء اللّه، وربما تضيع أحلامهم وهم ما زالوا يتذمَّرون!

موكب النظافة

# موكــب النظافـــة

غالباً ما كانت الوالدة تنادي ابنها لتقول: يا بنيّ، لقد حان وقت الاستحمام، فهيّا ادخلْ ونظّف جسمك فترتاح وتتنشّط، وقد يمكنكَ أن تراجع دروسكَ قبل حلول موعد العشاء.

أما هو فكان يتهرّب في كلّ مرّة، مؤجّلاً موعد استحمامه، خالقاً الأعذار والحجج. تارة لا يرغب في وقف اللّعب، وطوراً لا يريد ترك التلفزيون. وفي كلتا الحالتين، كان يَعتبرُ النداء مُجحفاً بحقّه لأنه سيحرمه من اللّعب والتَّسلية، لذلك كان يتذمّر ويمانع، على أن يستحمّ في وقت لاحق.

أما الأمّ، فقد احتضنته بكلّ هدوء، وأخذت تلامس وجهه الطريّ بيدٍ كلّها حبّ وحنان، مشجّعةً إيّاه وقائلة له: إن دخلتَ الحمّام سوف يستقبلك كلُّ ما في داخله بالسرور والتّرحاب، وستكون كلُّ أدوات الحمّام رهنَ أوامركَ، وكأنكَ أميرٌ صغير، فلماذا التردّد؟ ولماذا التأخير؟

وهكذا استطاعت الأمّ بحكمتها أن تُقنعه دونما إكراه.

قرّر الابن أخيراً الدخول. وما إن وطِئت قدماه أرض الحمّام حتى صاح المغطس: أهلاً وسهلاً في ضيافتنا. تعالَ واجلس. وإن شئتَ فتمدّدْ، وخُذْ راحتكَ، وابقَ قدر ما تشاء طالما أنت مسرور.

ثمّ قالت الحنافي: أهلاً بكَ، لقد شرّفتنا وها نحن في خدمتكَ حتى آخر نقطة ماء تسكُبُها على جسمكَ. وانهمر الماء من المرشّة قائلاً: ابنُ صاحبِ البيت هنا؟ تفضّل واغتسلْ. إني لأجلك رَفعتُ درجة حرارتي، ولكني لن أُلامسكَ إلا حَسبما تريد، أتريدني حارّاً؟ أم فاتراً؟ أم بين بين؟

وهمستِ الصابونة قائلة له: سأنظّفك برغوتي، وسأطيّبكَ بعطري، وما عليكَ سوى أن تأمر لأذوبَ في سبيلكَ، ولن أُفارق جسمكَ الغضّ، إلا وقد زاد نعومة ورقّة!

وبعدها جاء دور اللّيفة لتطمئنه وتقول: لا تهتمّ لحشريّتي، ولا تحاسبني على خشونتي. ما وجودي هنا إلاّ للتّأكيد على نظافتك، وحرصاً على سلامتك. فأرجوك أن تعذرني وألا تتضايق مني.

ثم حضرت المنشفة لتعطف عليه وتقول: دعني ألتقطُ كلّ نقطة ماء عن جسمكَ، وما يهمّني هو صحّتكَ وسلامتكَ. وأخيراً لمعت صفحة المرآة تُلفتُ انتباهه بصفاوتها، علّه يبادلها النظر، فيشاهد فيها احمرار عينيه، وبعدها يتأكّد من لذّة الاستحمام وضرورة النظافة!

وفي الختام، أطلّ المشط بعد طول انتظار لأنّه على أحرّ من الجمر، يريد أن يصفّف له شعره ويُظهر أناقته.

وقف الصبيّ لحظةً ليشكر عائلة الحمّام على اهتمامها به، وإذا به أمام موكب آخر، يتأهّل به ويستقبله. إنه موكب الثياب الذي وضع بين يديه كلّ إمكاناته الداخلية والخارجية، مع شعار ثابت، هو تأمين الدفء والراحة للمستحمّين. فارتدى ثيابه وأنهى حمّامه.

ثم نظر إلى أمّه فقبّلها وشكرها على كلّ ما فعلت لأجله.

أما الأمّ فعادت إلى احتضانه قائلةً: جميلةٌ هي نظافتكَ الخارجيّة يا حبيبي، ولكنّ الأفضل هي النظافة الداخليّة، أي طهارة النفس، نظافة الكفّ، ونقاوة القلب.

ولكن إذا ما تهاونتَ في حياتكَ الروحيّة وتركتَ الخطيئة تشوّه نفسكَ وتُثقِل ضميركَ، فما عليكَ إلا بالتّوبة، (التّوبة المصحوبة بالصّلاة والصّوم وعمل الخير) فهي حمّامكَ الروحي الأكيد، لأنها كفيلة بغسل داخلكَ، وإعادة صفائكَ الروحيّ، وهنائكَ الطبيعيّ، وأمنيتي أن تبقى نظيفاً على صعيدي الجسد والروح.

شَكَرَ الصبيّ أمّه واعداً إيّاها أن يكون عند حُسنِ ظنّها!

إنْ لم تُمارِس

# إنْ لم تُمارِسْ

- ألا تريد سماع قصّة اليوم يا بنيّ؟

- بالطّبع يا عزيزتي، لأنّ قصصكِ تسرّني وتفرحني.

- إن أصغيتَ جيّداً، سوف تعرف المزيد وتتعلّم الكثير.

- ها أنا حاضر.

- في ذات يوم، يا ولدي، قامت الأمّ ومعها ولدها الصغير بزيارة أحد الأقارب. حصل الابن أثناء الضيافة على حبّةٍ من "البونبون"، فنزع غلافها، وبسرعة رماها في فمه، وضغط عليها بأضراسه، قاصداً قرشها، والتلذّذ بها.

نادته الحبّة بلهفة قائلة: لا، لا، تمهّلْ يا عزيزي. من فضلكَ انتظرْ قليلاً. عندي شيء أقوله لكَ قبل أن تُفَتِّتَني وتحوّلني إلى نُتفٍ صغيرة.

- وما هو هذا الأمر الهامّ الذي تريدين الإفصاح عنه يا عزيزتي؟ أسرعي! فأنا لا أطيق الانتظار.

- أرجوك! اصبرْ عليّ قليلاً. لأن من فَقَد صبرهُ، يكون كمن فقد إدراكه.

- ليس الآن وقت إعطاء الدروس، فهلاّ أعلمتِني ماذا تريدين؟

- أرجوكَ، أريد منكَ أن تعاملني بلطافة، وأن تتركني أذوب في فمكَ رويداً رويداً، ولا أحبّ أن تطحنني وتَقْسو عليّ، فهذا يؤلمني ويضايقني.

- ألا تعلمين أنكِ تحت رحمتي، فلماذا كثرة الشروط؟

- إنْ حقّقتَ رغبتي، سوف أقدّم لكَ نصيحةً هامّة تحمي بها أسنانكَ من الإصابة بالتسوّس، وتُجنّبكَ الألم فيما بعد.

- لقد أطلتِ في الشّرح، وأكاد أفقد صوابي، أريد التلذّذ بطعمكِ، فما هي نصيحتكِ؟

- قلتُ لكَ لا تكن لجوجاً. أَصغِ جيّداً إلى ما أقول: بعدما دخلتُ فمكَ، سوف أختبئ بين أسنانك، ولن أتركها إلاّ وقد اسودّت وتسوّستْ، عندها تبدأ مرحلة الألم، وستكون أكثر بكثير مما ضايقتني وآلمتني!

- أرى في الأمر تحدّياً وتهديداً، هذا أمر غير مقبول!

- إن بقيتَ معي لطيفاً، خلّصتكَ بكلّ سهولة.

- وكيف سيكون هذا الخلاص يا حلوتي؟

- مع أنكَ تهزأ بي، فإنّ وقايتكَ أكيدة، ونجاتكَ مضمونة. **فقط اغسل**

**فمكَ جيّداً بالماء، بعد التلذّذ بالحلوى، هكذا يمكنكَ أن تحفظ أسنانكَ سليمة.**

- هذا ليس بجديد. فأنا أعرف هذا الأمر لكنني لا أمارسه.

- بعد هذا الحوار بَيْنَ الصغير وحبّة "البونبون"، سأل الابن أمّه قال: وما معنى لا تمارِس؟

- نعم يا حبيبي، سوف أشرح لك هذا القول: أي انه لا يكفي الإنسان أن يعرف، لكن عليه أن يطبّق هذه المعرفة، ويستغلّها لمنفعته ولخير الآخرين.
ولمزيد من الإيضاح، إليكَ بعض الأسئلة:
السائق الذي يعرف أخطار السرعة ولا يتمهّل، هل يسلم؟

- لا.

- والتلميذ الذي يعرف أنّ الدرس والاجتهاد، هما طريق المعرفة والتقدّم ولا يفعل، هل ينجح؟

- أيضاً لا.

- والمؤمن الذي يعتقد بوصايا اللّه وتعاليمه، ولكنّه لا يطبّقها في حياته هل يَخْلُص؟

- طبعاً لا، ولكن أريد أن أعرف يا أمّي هل كَسَرَ الصبيّ حبّة "البونبون" أم لا؟

- أجابت الأمّ ضاحكةً: ليس المهمّ في ما فعل صاحبنا الصغير، إنما المطلوب هو ما تفعله أنتَ يا بنيّ.

- وهل فعلتُ أمراً ما لم يعجبكِ؟

- كلاّ يا حبيبي، إنما أريدك وأنت تمارس أعمالك، أن تكون صادقاً وأميناً ومخلصاً، كي يرضى اللّه عنك، ويحبّك الجميع في الوقت ذاته.

وأريدك وأنت تعيش حياتكَ، ألاّ تتصرّف إلاّ بوحيٍ من إيمانك ومتطلّباته، وألاّ تعمل إلاّ لخير نفسكَ وخير الآخرين.

- هذا هو ما أريد أن أمارسه في حياتي وأطبّقه في تصرّفاتي.

شكراً لكِ على قصّتكِ هذه يا أحبَّ أمّ!

# Rev. Mounir Hakmeh

**www.kobayat.org**
Electronic Version
Published online by: Elie Abboud
Email: elie@kobayat.org